عم سعدون مغامس المانع

و الكرملي

ما ابهى ما كان يوم الاحد الذي وقع في ٧ تشرين الاول ١٩٢٨ ذلك اليوم التاريخي عند اخوان الادب العربي ورافعي اعلام التشجيع له من كبراء وعظماء فان في عصره المشهود اقيمت تلك الحفلة الباهرة لتكريم الاستاذ الكبير الاب انستاس ماري الكرملي (١) في دار صاحب الفخامة عبدالمحسن بك (٢) السعدون لقضاء الاب الفاضل عمره حتى شيخوخته الحاضرة في خدمة لغة الضاد الشريفة ذلك العمر الفني اتى فيه بالكتابات العديدة والمباحث الكثيرة ما قدره علماؤنا وكتابنا وشعراؤنا من عراقيين وسوريين ومصريين وفلسطينيين وغيرهم وفي طليعتهم المجمع العلمي العربي بدمشق الشام وهنأوه ببلوغه هذا اليوم وقدجعله مع تهاني حلوة كبار من المستشرقين من مختلفي الشعوب الغربية . وقد اجتمعت في هذه الحفلة كلمة هؤلاء الافاضل جميعهم على تقدير خدماته الجلى لما وقفوا عليه فضلا عما لدى الاب من الآثار غير المنشورة .

فليهنأ الاب وليعش طويلا للمثابرة على اعماله المقدرة !

واني لاستأذن كلا من فخامة البك وفضيلة الاب في ان اذهب بهما وبالقراء الكرام الى حادث تاريخي :

❁❁❁

لا بد وان الفكر سائد انه لم يسبق قبل اليوم ان سعدونيا كرم كرمليا — ولو على غير هذا الوجه — لاتساع الفراغ الفاصل بين الفريقين . فيظن اذ ذاك ان ما ابرزه هذا الاحتفال لهو مما اولده القرن العشرون لكنا اذا تصفحنا التاريخ رأينا هناك تكريم شيخ من بيت فخامته — يوم كان يدعى بيته شيبيا قبل ان يكون سعدونيا — لاحد الكرمليين من الجدود المعنويين للمحتفى به . فكأن

(١) كان اسمه بطرس قبل توهبه في الرهبانية الكرملية وهو ابن ميكائيل الذي اشتهر بميكائيل الماريني بعد استيطانه بغداد وهو من بيت عواد اللبنانيين البحرماقيين .

(٢) ابن فهد باشا بن علي بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع والد مغامس .

التاريخ اراد بهذا الاحتفاء ان يجدد على الستارة صورة صلة بات عهدها نسيا منسيا خالعا عليها ثوبا قشيبا جديدا تميس فيه تيها ودلالا . وقد تجلى في تلك الحفلة في فخامة ابن سعدون الشيبي ما ورثه من آبائه الاماجد من مكارم الاخلاق مزدانة بحبه لترقية العلوم ولا سيما تنشيطه للاداب — وضمنا تشجيعه لحملة الاقلام كافة — على موالاة خدمة لغتنا الجليلة .

●●●

كان مبدأ اقامة الاباء الكرمليين في بغداد في سنة ١٧٢١ اما البصرة فقد دخلوها للاقامة فيها منذ سنة ١٦٢٣ وقد وجد السر هرمن كولنز سجلا لمبشهم في البصرة دون فيه احد رؤسائهم ما لقيه من اخبارهم منذ سنة دخولهم حتى زمانه الذي كان في سنة ١٦٧٤ وشرع يضم الى تلك الاباء ما كان يحدث في ايامه في البصرة وتبع تلك الخطة الذين خلفوه . وهذه النسخة التي هي اليوم عند السر المذكور تنتهي باخبار سنة ١٧٣٣ وهي الام بنفسها المختلفة الخطوط ولغتها هي اللاتينية الا صحائف قليلة في لغات اعجمية اخرى مع نصوص عربية وتركية . وقد بعث السر بالطبع هذا السجل (١) من مبدئه مع ترجمته اياه الى الانكليزية ووشاه بصورة شمسية لما يحويه من النصوص العربية والتركية .

ومما يرويه لنا هذا السجل الوحيد النسخة استيلاء شيخ المنتفق مغامس المانع على البصرة في سنة ١٧٠٥ (١١١٧ هـ) وكانت يوم ذاك سفن هولندية راسية فيها في شط العرب . واني لاقصر كلامي في هذا المقام على نقل ما جرى للاب حنا (يوحنا) مع الشيخ مغامس معربا كلامه عن الانكليزية وموردا النص العربي بحروفه (٣ : ٣٠٢ من الاصل) :

تعريب فقرات الكتاب ونص البراءة

« ... في اليوم السابع من هذا الشهر (تشرين الثاني ١٧٠٥) حضرنا امامه (امام الامير مغامس) فرحب بنا وبعد ان هنأه الربان الهولندي (٢) التمس منه ان يعطيه عقد اتفاق بين الهولنديين والعرب . فكرم عليه عجبا طلبه بكل

(1)Settlement of the Carmelites in Mesopotamia,... Pub. by Sir Hermann Collanez, Oxford 1927.

(٢) هو بيتر (بطرس) مكارة Peter Makarré

ما يرغب فيه وبعد ذلك اوضح له الهولندي مطلبهم بمذكرة الهولنديين تتعلق بشؤون الشركة (١) فانتهزت هذه الفرصة بتقديمي اليه مذكرة في امر حماية كنيستنا ودارنا .

وفي ٩ من الشهر الجاري قدمنا مذكرتينا بواسطة عبداللطيف (٢) الى الامير مغامس فدفعهما حالا الى قاضيه الشيخ سلمان ليصدقهما تصديقا شرعيا .

وفي ١٢ منه ارسل الامير مغامس بالبراءتين احداهما الى الهولندي في الاتفاق ، وثانيتهما اليّ في مادة الحماية الواردة في ما يلي :

[الحماية التالية هي بالتركية (٣)]

محل الختم (٤) توكلت على الله

تعلمون به الواقفون على كتابنا هذا من كانت خدامنا وعمالنا وطباطنا [ضباطنا] (٥) بانا اعطينا حامل الورقة الصادري حنا على موجب ما بيده من فرمانات اولياء الدولة القاهرة (٦) ومن اوامر الوزراء العظام والامرا الكرام. وله منا فوق [ذلك] زيادة الحشمة والرعاية وقد اسقطنا عن خدامه وترجمانه الجزية والخراج وكتبنا له هذا الكتاب سندا بيده يتمسك به لدى [لدى] الحاجة اليه. وعلى كتابنا هذا غاية الاعتماد والله تعالى شأنه ولي العباد وبه كفا . حرر في ثاني وعشرين من شهر رجب الفرد سنة سبعت عشر ومايه والف . سنة ١١١٧. الفقير مغامس المانع

حصلت على براءة الحماية وتلتها بدون اي مصروف وستفيدنا دائما فوائد جمة وسينتفع بها بيتنا في احوال مماثلة ... » اه

وهكذا تمر الايام والتاريخ يسجل يعقوب نعوم سركيس

(١) اي الشركة التجارية (٢) وفي غير هذا الموضوع قال «الشيخ عبداللطيف» فهل هو من بيت الشيخ عبدالسلام الشهير المعروف اليوم ببيت ياش اعيان ؟ وقد ذكر السجل الامير طه (Taa) فهل هو الذي ذكرته بين افراد هذا البيت حاشية « زادالسافر » (ص٣١)؟ ومن وردد ذكرهم في السجل عيسى غنيمة وهو من جدود صاحب المعالي يوسف افندي غنيمة (٣) ما جاء بين العضادتين للمترجم وقوله بالتركية غلط والصواب بالعربية وهذا هو اصله. (٤) هذا معنى كلام باللاتينية للمدون. (٥) ما بين العضادتين في ورقة الحماية هو من وضعي. (٦) اي الحكومة العثمانية .